بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة دينية

فضيلة الشيخ الدكتور محمد أحمد عبد الغني



بعنوان :

ماذا يعني أن أكون سلفيًّا؟

مفهوم منهج السلف الصالح وأصوله وخصائصه

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإن من الأسئلة المهمة التي يحتاج المسلم إلى فهمها: ماذا يعني أن أكون سلفيًّا؟ وما حقيقة منهج السلف الصالح؟ وهل السلفية مجرد انتساب إلى اسم أو جماعة، أم أنها منهج شامل في فهم الإسلام واعتقاده وعبادته وسلوكه وأخلاقه؟

إن المقصود بمنهج السلف هو التمسك بالإسلام الذي جاء به النبي ﷺ، وفهمه والعمل به على الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون وأئمة الهدى، مع الاستفادة من علم العلماء واجتهاداتهم، والحرص على سلامة الاعتقاد والعبادة والسلوك.

أولًا: من هم السلف الصالح؟

السلف في اللغة هم المتقدمون الذين سبقوا غيرهم، وأما في الاصطلاح فيُقصد بهم في هذا السياق الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، وهم القرون الثلاثة الأولى التي شهد لها النبي ﷺ بالخيرية، فقال:

« خَيرُكُم قَرني، ثُمَّ الذينَ يَلونَهم، ثُمَّ الذينَ يَلونَهم »[1]

وتنبع أهمية اتباعهم من أنهم تلقوا القرآن والسنة عن النبي ﷺ، وشهدوا نزول الوحي، وعرفوا أسباب نزول الآيات وورود الأحاديث، وتعلموا من النبي ﷺ كيفية فهم النصوص والعمل بها.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[2]

فاتباع السلف ليس تعظيمًا لمجرد أشخاص مضوا، وإنما هو حرص على فهم الدين كما تلقوه عن رسول الله ﷺ، مع الإقرار بأن العصمة للأنبياء، وأن العلماء يُؤخذ من أقوالهم ويُرد، وأن المرجع الأعلى هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثانيًا: ما معنى المنهج في الإسلام؟

المنهج في اللغة هو الطريق الواضح المستقيم الذي يسلكه الإنسان. وقد ورد لفظ المنهاج في القرآن الكريم، قال تعالى:﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[3]

وعليه، فإن منهج السلف هو الأصول والقواعد والطرائق التي سار عليها السلف الصالح في فهم الدين وتلقيه والاستدلال له والعمل به.

وهو ليس مجرد مجموعة من المسائل العقدية، بل يشمل:

1. العقيدة :توحيد الله تعالى والإيمان بأسمائه وصفاته، وبالغيب والقضاء والقدر وسائر أصول الإيمان.
2. العبادة :الالتزام بما شرعه الله تعالى على هدي النبي ﷺ.
3. التلقي والاستدلال :الاعتماد على القرآن والسنة الصحيحة، وفهم النصوص في ضوء اللغة والسياق وما ثبت عن السلف.
4. التربية والسلوك :تزكية النفس وتهذيب الأخلاق والالتزام بالآداب الشرعية.
5. المعاملات والعلاقات :إقامة العدل، وأداء الحقوق، وحسن التعامل مع الناس، والوفاء بالعهود.

---

(1) أخرجه البخاري (6695)، و مسلم (2535)، وأبو داود (4657)،والترمذي (2221) واللفظ لهم.

(2) التوبة: 100

(3) المائدة: 48

ومن الخطأ اختزال منهج السلف في مسائل العقيدة وحدها، أو في المظاهر الخارجية، مع إهمال الأخلاق والمعاملات؛ فصلاح الظاهر والباطن، والعلم والعمل، من المعاني الأساسية في التدين الصحيح.

ثالثًا: ما الأسماء التي تُطلق على هذا المنهج؟

تُستعمل في التراث الإسلامي عبارات متعددة، منها: أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث والأثر، وأهل الاتباع، كما وردت في النصوص الشرعية أو في كلام العلماء عبارتا الطائفة المنصورة والفرقة الناجية.

وسُمّي أهل السنة لتمسكهم بسنة النبي ﷺ، وسُمّوا أهل الجماعة لاجتماعهم على الحق والحرص على عدم التفرق.

قال النبي ﷺ:" فإنَّه مَن يَعِشْ منكم فسيَرَى اختِلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأُمورِ؛ فإنَّ كُلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ »[4]

ولا ينبغي أن تتحول هذه الأسماء إلى شعارات للتعصب أو وسيلة للحكم على الأشخاص؛ فالعبرة بحقيقة الاعتقاد والعمل والاتباع، لا بمجرد الادعاء أو الانتساب.

رابعًا: لماذا يُعتنى بفهم الصحابة والتابعين؟

إن فهم الصحابة للدين له مكانة عظيمة؛ لأنهم أقرب الناس إلى عهد النبوة، وأعلمهم بظروف نزول الوحي وبيان الرسول ﷺ.

ومن الأدلة التي يستدل بها العلماء على أهمية اتباع سبيل المؤمنين قول الله تعالى:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[5]

وقال تعالى:﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾[6]

ويستدل العلماء بهذه النصوص وغيرها على فضل السابقين الأولين ووجوب الاقتداء بهم في اتباع الوحي وفهمه، مع مراعاة التفصيل العلمي في مسائل الاجتهاد والخلاف.

---

(4) أخرجه مطولاً أبو داود (4607)، والترمذي (2676)، وابن ماجه (44)، وأحمد (17144) باختلاف يسير، وابن عبدالبر في ((جامع بيان العلم وفضله)) (2305) واللفظ له

(5) النساء: 115

(6) البقرة: 137

كما أن اتباع السلف لا يعني إلغاء العقل؛ بل يعني استعماله في فهم الأدلة، والتفكر في آيات الله، والتمييز بين الصحيح والضعيف، مع عدم جعل الآراء الشخصية مقدمة على النصوص الثابتة.

خامسًا: منهج السلف بين الاعتدال والغلو

من المعاني المهمة في هذا المنهج التوازن بين الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء، والتشدد غير المشروع والتساهل في أحكام الدين.

فليس من المنهج الصحيح أن يتساهل الإنسان في أصول الدين، كما أنه ليس من الصواب أن يجعل كل مسألة خلافية سببًا للتبديع أو التباغض أو القطيعة.

ومن أبرز معالم الاعتدال:

- التمسك بالنصوص الشرعية مع فهمها فهمًا صحيحًا.
- التثبت من صحة الأحاديث والآثار قبل الاحتجاج بها.
- التمييز بين المسائل المتفق عليها والمسائل الاجتهادية.
- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.
- حفظ حقوق المسلمين، والعدل معهم، وعدم ظلمهم أو التعدي عليهم.
- الجمع بين صحة الاعتقاد وحسن الخلق والعمل الصالح.

قال الله تعالى:﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[7]

فلا يكفي أن يرفع الإنسان شعار اتباع السلف، ثم يخالف هديهم في أخلاقه، أو يظلم الناس، أو يسيء إلى مخالفيه، أو يتعامل مع مسائل الاجتهاد بروح التعصب.

سادسًا: منهج السلف ومواجهة الانحرافات

شهد التاريخ الإسلامي ظهور اتجاهات متعددة في مسائل الاعتقاد، كالخلافات المتعلقة بالقدر والإيمان وأسماء الله وصفاته، وتنوعت أسبابها وطرائق معالجتها.

وفي العصر الحاضر يواجه المسلم تحديات فكرية وسلوكية متنوعة، منها الإلحاد، والغلو والتكفير، والتساهل في أحكام الدين، وفصل الأخلاق عن التدين، وقصر الدين على الشعائر دون المعاملات.

([7]) النحل: 125

والمنهج السليم في مواجهة هذه التحديات هو العلم الراسخ، وفهم النصوص، والحوار المنضبط، والتربية الإيمانية، والرد على الشبهات بالحجة والبرهان.

ولا يصح أن تُعالج الانحرافات بانحراف مقابل؛ فالغلو لا يُواجه بغلو آخر، والجهل لا يُعالج بالتسرع في إصدار الأحكام، والاختلاف لا يُعالج بالتكفير أو التشهير.

كما أن الاهتمام بالتوحيد والعقيدة لا يُغني عن الاهتمام بالأمانة والرحمة والصدق والعدل وحسن المعاملة؛ فهذه جميعًا من مسؤوليات المسلم في التزام دينه.

سابعًا: السلفية ليست تعصبًا لحزب أو شخص

من المهم التمييز بين اتباع منهج علمي وبين التعصب لتنظيم أو جماعة أو شخص.

فالمسلم يجلّ العلماء ويستفيد من علمهم، لكنه لا يجعل أقوالهم فوق الدليل، ولا يتعصب لإمام أو مذهب تعصبًا يفضي إلى رد الحق أو الطعن في الآخرين.

كما أن التعاون على عمل مشروع، كتحفيظ القرآن أو تعليم الحديث أو خدمة المجتمع، لا يعني بالضرورة إنشاء منهج عقدي مستقل؛ فالتخصص في الأعمال العلمية والدعوية أمر طبيعي، ما دام قائمًا على التعاون المشروع ولا يتحول إلى تعصب أو تفرق مذموم.

ومن مقتضيات الأخوة الإسلامية أن يُعامل المسلمون بالعدل، وأن تُحفظ حقوقهم، وأن يكون الاختلاف في المسائل العلمية منضبطًا بالأدب والإنصاف.

ثامنًا: كيف أكون سلفيًّا في حياتي اليومية؟

إذا أراد المسلم أن يجعل اتباع السلف منهجًا عمليًا في حياته، فليبدأ بأمور واضحة:

1. تصحيح النية والتوحيد :إخلاص العبادة لله تعالى والابتعاد عن الشرك.
2. طلب العلم :تعلم القرآن والسنة على أيدي أهل العلم الموثوقين، والتثبت من الأدلة والنقول.
3. الاقتداء بالنبي ﷺ :في العبادة والأخلاق والمعاملات، مع فهم هدي الصحابة ومن تبعهم بإحسان.
4. حسن الخلق :الصدق والأمانة والرحمة والتواضع والعدل.
5. ترك التعصب :قبول الحق بالدليل، وعدم تقديس الأشخاص أو الأحزاب.
6. الحذر من الغلو والتفريط :فلا إفراط في التشديد، ولا تفريط في الواجبات.

7. إصلاح النفس والأسرة والمجتمع :فثمرة العلم الصحيح تظهر في السلوك والعمل، لا في كثرة الشعارات وحدها.

8. احترام الخلاف المعتبر :والتمييز بين الخطأ الاجتهادي والانحراف الواضح، وترك الأحكام على الأشخاص لأهل العلم وفق ضوابطها.

خاتمة

إن السؤال الحقيقي ليس: ماذا أسمّي نفسي؟ بل: كيف أفهم ديني، وكيف أعمل به، وكيف يظهر أثره في أخلاقي وعلاقاتي؟

فمنهج السلف، في معناه العلمي، هو الحرص على اتباع القرآن والسنة وفهمهما على هدي القرون الأولى، مع العناية بالعقيدة والعبادة والسلوك، والبعد عن الغلو والتعصب والخصومات.

وليس الانتساب إلى السلفية شهادةً تعفي الإنسان من الخطأ، ولا مبررًا للتعالي على المسلمين؛ بل هو دعوة إلى مزيد من العلم والتواضع والاتباع والعمل الصالح.

فحقيقة الاتباع أن يزداد المسلم علمًا بالله، واتباعًا لرسوله ﷺ، ورحمةً بالخلق، وعدلًا في المعاملة، واستقامةً في السر والعلن.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يهدينا إلى الحق، وأن يجعلنا من المتبعين لكتابه وسنة نبيه ﷺ على بصيرة، وأن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويجنبهم الغلو والفرقة والخصومة.

والحمد لله رب العالمين.

الدكتور محمد عبد الغني